قبيلة أيت حديدو في فترة الحماية الفرنسية
١٩٢٩ – ١٩٥٦م

د. الحو عبيبي
دكتوراه في التاريخ المعاصر والراهن
جامعة محمد الخامس
الرباط - المملكة المغربية

بيانات الأطروحة

أطروحة دكتوراه ضمن تكوين "تاريخ الزمن الراهن" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية أكدال، جامعة محمد الخامس الرباط (المغرب). نوقشت بتاريخ ٢١ مارس ٢٠٢٣.

الباحث:	الحو عبيبي
إشراف:	د. عبد الإله الدحاني؛ د. سيدي محمد الكتاني
التخصص:	التاريخ المعاصر والراهن
التاريخ:	مارس ٢٠٢٣
لجنة المناقشة:	د. الجيلالي العدناني وآخرون

تندرج هذه الأطروحة ضمن تكوين الدكتوراه" تاريخ الزمن الراهن" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية أكدال، التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط، والتي أعدها الطالب الباحث الحو عبيبي تحت الإشراف الدكتورين سيدي محمد الكتاني (جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس) وعبد الإله الدحاني (جامعة محمد الخامس الرباط). وناقشها كل من السادة الدكاترة الجيلالي العدناني وعبد العزيز باحو من جامعة محمد الخامس بالرباط، ومحمد الغرايب من جامعة ابن طفيل القنيطرة ولحسن أوري من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، وذلك يوم ٢١ مارس ٢٠٢٣.

كلمات مفتاحية:
تاريخ المغرب المعاصر؛ القبيلة؛ أيت حديدو؛ الحماية الفرنسية؛ التحولات؛ البنيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2023.333360

مُقدِّمَةُ

تقدم هذه الأطروحة محاولة بحثية حول تاريخ منطقة لم تحظ باهتمام الباحثين، رغم الأدوار التي لعبتها في تاريخ المغرب قبل وبعد الاستعمار، يتعلق الأمر بتاريخ "**قبيلة أيت حديدو في فترة الحماية الفرنسية ١٩٢٩-١٩٥٦ م**". نسعى من خلال هذا البحث إلى كشف الغبار عن موضوع خصب ومهم، ينطلق من التفكير في القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للقبيلة إلى محاولة رصد الطبيعة التركيبية للمجتمع بقبيلة أيت حديدو، ومظاهر التغيرات والتحولات العديدة التي عرفها هذا المجتمع، وما يحمله بين ثناياه من عناصر الاستمرارية والتواصل خلال الفترة المعنية بالدراسة.

يجمع البحث في موضوع" **قبيلة أيت حديدو في فترة الحماية الفرنسية ١٩٢٩-١٩٥٦م**"، بين عدة مكاسب علمية ومعرفية، فمن جهة هو محاولة استكشافية تعريفية بالمنطقة وسبر أغوار تاريخها، ومن جهة ثانية هو محاولة إعادة الاعتبار التاريخي للمنطقة باعتبارها من المناطق الهامشية التي لم تحظ بما يكفي من البحث والتقصي بعيدا عن تيمة التركيز على تاريخ المركز فقط، ثم محاولة ربط تاريخ المنطقة بالتاريخ الوطني من جهة أخرى، من خلال تسليط الضوء على بعض القضايا العامة ذات الصلة بالتأثيرات المصاحبة لتدخل المستعمر الفرنسي في حياة وقضايا المجتمع المحلي.

تأتي أهمية مجال الدراسة والبحث بالنظر لِما حظي به هذا المجال من اهتمام من قبل المخزن أولا، وبعده المستعمر ثانيا، باعتباره حدا فاصلاً بين الأطلس المتوسط والأطلس الكبير الشرقي، حيث مكنه موقعه الجغرافي من القيام بأدوار لا يستهان بها تاريخيا في إطار علاقات التأثير والتأثر بينها وبين مختلف القبائل المجاورة لها في الجنوب الشرقي المغربي.و يكتسي الموضوع أهميته كذلك من خلال مدى مساهمته في إماطة اللثام عن جزء من تاريخ المغرب العميق، وهذا التاريخ يحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي نظرًا لجملة القضايا التي مازال يضمها بين ثناياه، من أجل الكشف عن تاريخ هذه المنطقة في جزئياتها إبان فترة الحماية الفرنسية خصوصًا، واستجلاء التاريخ المحلي، المهمش، المبعد والمنسي، من خلال دراسة مستفيضة للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية .

ويندرج هذا البحث في إطار التاريخ المونوغرافي الذي يعتبر من أهم التجديدات التي وضَعت اللبنات الأساس في سبيل إعادة كتابة تاريخ المغرب، على أسس علمية رصينة وبنوع من التدقيق المعرفي والبناء المنهجي، الذي يجعل منه قاطرة تتصدر عملية تحديث الذاكرة الجماعية من طرف الباحثين والمهتمين، بعيدا عن المنزلقات التي حاولت الكتابات الاستعمارية وضعه فيها، ومن هذا المنطلق جاء موضوع هذا البحث من أجل المساهمة في البحث المونوغرافي المغربي من جهة، ومحاولة الكشف عن طبيعة التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها المنطقة خلال هذه المرحلة المهمة من تاريخ المغرب من جهة أخرى.

وبالتالي فإن هذا العمل ينسجم والاتجاه الذي سارت عليه كبرى الأدبيات التاريخية المغربية عقب نهاية الاستعمار، وعلى رأسها **"إينولتان"** لأحمد التوفيق ، و**"إيناون"** لعبد الرحمان المودن...، والتي شكلت منعطفا هاما في مسار البحث التاريخي بالمغرب، من خلال محاولتها رسم الخطوط العريضة لتاريخ وطني شامل، سيمته التركيز على الجوانب المغيبة في تاريخ البلاد، والتي تندرج في اطار ما يوصف بالتاريخ الاجتماعي أو "التاريخ من الأسفل" و "تاريخ الجذور"، على اعتبار أن التاريخ الحقيقي يوجد على مستوى القاعدة، وأن دراسة تاريخ المجتمعات من خلال مشاغلها اليومية أخصب وأفيد من دراسة التاريخ السياسي وحده.

دوافع اختيار الموضوع

كان اختيارنا لهذا الموضوع مرتبط بعدة دوافع يمكننا تصنيفها إلى دوافع ذاتية وموضوعية، فبالنسبة للأولى فهي مرتبطة في الغالب بشغف باحث مبتدئ متحمس لكشف تاريخ له ارتباط بالوشائج والصلات الحميمية التي ولدها احتكاكي اليومي بواقع هذه المنطقة منذ الصبا، لهذا كان التحدي المطروح هو البحث في ثنايا هذا الموضوع، رغبة في سبر أغوار تاريخها، قصد وضعه رهن إشارة المهتمين، دافعا رئيسا للبحث، رغم أن منطقة أيت حديدو تظل في حاجة إلى مجهودات جماعية من أبنائها الباحثين والدارسين.

أما بالنسبة للدوافع الموضوعية فيمكن جردها على الشكل التالي:

- كون المنطقة قيد الدراسة مازالت بكرا في مجال البحث التاريخي بصفة عامة، أو الدراسات التي تناولت منطقة أيت حديدو موضوع هذه الدراسة.
- غياب دراسة علمية عن تاريخ قبيلة أيت حديدو في فترة الحماية الفرنسية، واقتصار الأمر على بعض الإشارات المتناثرة في ثنايا بعض الدراسات والأبحاث والمقالات، التي ركزت على الجانب الحدثي المرتبط بالتدخل الاستعماري وردود الفعل حوله.
- كون عدد من القضايا المعاشة في الفترة الراهنة لها جذور ضاربة في الماضي القريب، ولا مناص لمن يحاول أن يكون على بينة منها ومستشف لمضامينها وخلفياتها، أن يرجع إلى بداياتها من قبيل معرفة بعض الأحداث والوقائع. ويعتبر هذا الموضوع إذن، محاولة لإبراز وكشف النقاب عن المنسي والمهمش في هذه المنطقة تحليلاً وتفكيكًا وتفسيرًا.

الصعوبات

واجهت الباحث العديد من الصعوبات أثناء العمل منها:

غياب المعطيات المحلية والوثائق الخاصة بالمنطقة التي تعكس وجهة النظر المحلية في مجموعة من القضايا، خاصة وأن مجال الدراسة يندرج ضمن المجالات الهامشية التي لم تحظ باهتمام كبير ولا بدراسات سابقة، وبهذا كان عملنا توثيقيا من جهة وتحليليا من جهة أخرى.

١-الإشكالية وفرضيات الأطروحة

جاءت إشكالية البحث مرتكزة حول محاولة رصد واستيعاب طبيعة التحولات والتغيرات التي نتجت عن التدخل الفرنسي بمنطقة أيت حديدو، مع محاولة الوقوف عند المعالم الكبرى للاستراتيجية الفرنسية الرامية إلى السيطرة على المنطقة بمختلف أساليبها وأهدافها في إدارة وتدبير شؤون الأهالي بها، واستخلاص مختلف المؤشرات الدالة على التحولات التي مست المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالمنطقة خلال فترة الحماية. من هذا المنطلق يبدو أن معالجة هذه الإشكالية يجعلنا نطرح مجموعة من التساؤلات على الشكل التالي:

- إلى أي حد استطاعت القوات الفرنسية استيعاب الخصوصية الطبيعية والبشرية لمنطقة أيت حديدو في إطار السيطرة عليها؟
- كيف تفاعلت منطقة أيت حديدو مع الوافد الجديد؟ وما حدود هذا التفاعل؟
- كيف يمكن تحديد ركائز وأساليب وخطط التوغل العسكري الفرنسي بالمنطقة؟
- كيف يمكن تقييم حصيلة الاستراتيجية الفرنسية في التدبير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمنطقة؟
- أين تتجلى الآثار العامة للتدخل الفرنسي بالمنطقة؟ وماهي تجلياته على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي؟
- كيف يمكن استخلاص المؤشرات الدالة على التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي شهدتها المنطقة على عهد الحماية الفرنسية؟

٢-منهج الأطروحة

تتوقف طبيعة المنهج المعتمد في دراسة التاريخ على طبيعة الموضوع المقترح للدراسة، ومادامت فرضت هذه الإشكالية المتمحورة حول رصد واستيعاب طبيعة التحولات والتغيرات التي نتجت عن التدخل الفرنسي بمنطقة أيت حديدو، فتعدد المناهج وتكاملها كان سبيلنا الوحيد، حيث استعنا بالمنهج المادي الذي يجد مبرراته في طبيعة عناصر الموضوع الذي يتناول في أحد جوانبه النشاط الإنساني في أبعاده المختلفة.

اعتمدنا أيضا في هذا البحث على منهج تاريخي يراعي التسلسل الزمني وينفتح على آليات منهجية أخرى خاصة المنهج الاجتماعي، وذلك لدواعي تتعلق بموضوع البحث نفسه، إذ تتداخل فيه الأدوات المنهجية لتفسير وتفكيك وتوليف المعطيات والأحداث، وذلك بغاية تتجاوز حدود التوصيف نحو اعتماد مقاربة إشكالية، تعتمد على طرح الأسئلة ومحاولة الوقوف عندها ومعالجتها، وفق ما تسمح به أدوات الاشتغال المنهجي وطبيعة المادة البيبليوغرافية المعتمدة، وأخيرا يبدو أن عملية وخيار التركيب أمرا لابد منه في فهم ودراسة العلاقة بين مختلف العناصر الخاصة بحالة أو قضية محددة، بغية ربط الكل بالجزء.

٣-مصادر الأطروحة

سخرنا في سبيل إنجاز هذا الأطروحة مادة مصدرية ومرجعية متنوعة قوامها المصادر والمراجع والدراسات الأكاديمية والوثائق والأرشيفات الوطنية والأجنبية، وعلى رأسها الوثائق والتقارير العسكرية الفرنسية بالأرشيف الدبلوماسي بنانت وقصر فانسين بباريس، التي تضم وثائق عديدة خاصة بالقبيلة خلال مرحلة الحماية الفرنسية، وقد شكلت عصب متن أطروحتنا ساعدتنا في التعرف على الوضع العسكري والسياسي بالمغرب عموما، وبمنطقة أيت حديدو والأطلس الكبير الشرقي خصوصًا، كما أفادتنا في التأريخ للظروف والملابسات المحيطة بغزو القوات الفرنسية لمنطقة أيت حديدو.

٤-محتويات الأطروحة

وبناءً على هذا الأساس جاء تصميم الدراسة وفق التصور التالي، عرضنا في المقدمة علاقتنا بالموضوع تعريفًا، واختيارًا، وتحديد لإشكاليته ومنهجه، وخصصت الباب الأول الموسوم بـ **"المجال والإنسان بمنطقة أيت حديدو"**، والذي توزعت عناوينه على ثلاثة فصول، انصب الاهتمام في الفصل الأول منها على تحديد الإطار الجغرافي لمنطقة أيت حديدو، وتعرض الفصل الثاني من هذا الباب للإطار البشري لمنطقة أيت حديدو، وتطرقنا فيه لتسمية أيت حديدو وأصلهم وانتظام المجموعات البشرية. واستهدف الفصل الثالث الوقوف على الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة أيت حديدو.

في حين ضم الباب الثاني **"الاحتلال الفرنسي لمنطقة أيت حديدو ١٩٢٩- ١٩٣٦"**، ثلاثة فصول، عالجنا في الفصل الأول الاستراتيجية العسكرية للتوغل في المنطقة. أما الفصل الثاني فأفردناه للحديث عن العمليات العسكرية الفرنسية بمنطقة أيت حديدو،

وأهم المعارك وأشكال المقاومة التي لاقتها. أما الفصل الثالث فقد قمنا فيه بتقييم أعمال المقاومة بمنطقة أيت حديدو وامتداداتها.

أما الباب الثالث الذي وسمناه بـ"**آثار الاحتلال الفرنسي بمنطقة أيت حديدو ١٩٣٦- ١٩٥٦**" فضم ثلاثة فصول أساسية، ركزنا في الفصل الأول على الآثار السياسية والإدارية للاحتلال الفرنسي لمنطقة أيت حديدو، وخصصنا الفصل الثاني لدراسة الآثار الاجتماعية والاقتصادية للاحتلال الفرنسي لمنطقة أيت حديدو، أما الفصل الثالث فركزنا فيه على ظروف الحرب العالمية الثانية وأثارها على منطقة أيت حديدو.

٥- الاستنتاجات

تشكل هذه الدراسة محاولة تعريفية بمنطقة أيت حديدو، حاولنا من خلالها التعريف بهذه القبيلة التي لم تحظ بعد بدراسة جامعية شأنها شأن العديد من القبائل المغربية الأخرى، وقد جاء تعريفها انطلاقا من وضعها في الإطار الجغرافي العام للمغرب، والوقوف عند بعض الجوانب من تاريخها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعسكري، وعلاقاتها بالسلطات الاستعمارية الفرنسية خلال فترة الحماية.

وبعد تحليل المعطيات التي أفرزتها الجوانب المدروسة في موضوع "**قبيلة أيت حديدو في فترة الحماية الفرنسية 1929-1956م**". والتي تم عرضها في أبواب وفصول هذا البحث، خرجنا بالعديد من الاستنتاجات.

- اتضح من موضوع البحث أن المعطيات الطبيعية والبشرية والاجتماعية والاقتصادية لمنطقة أيت حديدو، هي مرتكزات ودعامات أساسية للعنصر البشري بالمنطقة في علاقتها بالسلطات الفرنسية خلال مرحلة الغزو، إذ ساهمت هذه المعطيات بشكل كبير في تحديد المعالم الكبرى التي ميزت العلاقة بمؤسسة الحماية الفرنسية، ذلك أن هذه العناصر المذكورة للمنطقة فرضت على المحتل الفرنسي بذل مجهودات مضاعفة وتسخير مختلف مؤهلاته ومكوناته، واستخدام أحدث تقنياته وأساليبه وخططه لإخضاع المنطقة.
- بعد التعرف على مختلف أشكال التنظيمات والمكونات الاجتماعية التي كانت تؤطر الحياة الاجتماعية بالمنطقة، اتضح لنا بشكل جلي أن منطقة أيت حديدو لم تكن تعيش في حالة من الفوضى؛ بل كانت تعرف نسقًا اجتماعيًا منظمًا من خلال مؤسسات محلية تسهر على تنظيم الحياة الاجتماعية وشؤونها، وفق أعراف وقوانين محلية. وفي مقابل ذلك فرضت قساوة الظروف الطبيعية على عناصرها البشرية، خلق وابتكار أشكال متعددة ومتنوعة للتعاون والتآزر والتكافل من أجل التكيف مع الظروف الطبيعية.
- من خلال تحليلنا للبعد التنظيمي لمنطقة أيت حديدو بمؤسساته، يمكن أن نستشف بأن المجتمع الحديدوي عرف نظامًا سياسيًا واجتماعيًا اتسم بالاستقرار، حيث كانت هذه المؤسسات المختلفة تعززه وتدعمه، إلا أنه مع دخول المستعمر الفرنسي شهد تحولا تحكمت سلطات الحماية الفرنسية في تسيير.
- اعتمدنا في دراستنا للإنسان الحديدوي على المحددات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، من خلال الوقوف عند ملامح المجتمع الحديدوي باستحضار حكايات شعبية وأمثال وألعاب وطقوس ومعتقدات، والزوايا والأضرحة...، والتي تسمح بضبط المجتمع الحديدوي في شموليته، إذ تبين أن هذه المظاهر والقيم الاجتماعية بمنطقة أيت حديدو، تعد وسيلة للتعبير، وتشخص طموحات ومعاناة وإيحاءات الفئة الاجتماعية الأكثر تهميشا. كما اتسم الجانب الثقافي عند أيت حديدو بالتنوع، إذ يحمل في طياته الكثير من الصور والدلالات، التي يمكن من خلالها الكشف عن الوجه الحقيقي لتاريخ أيت حديدو.
- اتضح أن علاقة سلطات الحماية الفرنسية بالسكان المحليين، خضعت لرؤية عسكرية قوامها استخدام القوة الذي اعتمدت عليه المؤسسة العسكرية الفرنسية لإخضاع قبيلة أيت حديدو، والتي نتج عنها ردود لفعل تمثلت في المقاومة المسلحة كأسلوب وخيار للمواجهة بين الطرفين. وتبين أن الاستراتيجية التي اعتمدت عليها المؤسسة العسكرية الفرنسية لإخضاع المنطقة، ارتكزت على خطط وأساليب متنوعة ومكملة لبعضها البعض؛ من خلال الموازنة بين العمل السياسي والحرب الاقتصادية والتحرك العسكري على مستوى الميدان. ويمكن تقييم حجم ونوعية القدرة العسكرية التي توفرت عليها كل من القوات الفرنسية والمقاومة المحلية، انطلاقا من أطوار ومجريات المعارك التي نشبت بين الطرفين كنتيجة للغزو والتصدي.
- راهنت المؤسسة العسكرية الفرنسية في ظل استراتيجية متعددة الزوايا، على تشتيت حركة المقاومة بالمنطقة، وتقييد مبادراتها والحد من

انفتاحها على محيطها. ويمكن تفسير التفوق الذي تحقق للقوات الفرنسية على حساب المقاومة المحلية، باختلال التوازن بين القدرة العسكرية الفرنسية التي تميزت بتنظيماتها وتنسيقها المحكم، وحجم القدرة الدفاعية لعناصر المقاومة التي تجلت مكامن ضعفها في غياب التنسيق، والتنظيم، وضعف الإمكانيات، ومحدوديتها.

- سعت سلطات الحماية الفرنسية بعد تحكمها في منطقة أيت حديدو، إلى توظيف مفهوم السياسة القايدية والمتمثل في النخبة المحلية من القواد والشيوخ والمقدمين والأعيان والوجهاء، مستفيدة من عناصر القوة والتأثير التي يمتلكونها، وكذا عوامل الدعم والمساندة التي وفرتها السلطات الاستعمارية لهؤلاء من جهة أخرى، قصد إحكام قبضتها على المجال، من خلال الإحاطة بالجوانب الثلاث للسياسة القيادية أهمها: أولاً التعرف على شخصية بعض قياد أيت حديدو. وثانيًا الكشف عن صورة القائد لدى مصلحة الشؤون الأهلية، وثالثا رصد واقع التدبير القايدي في المنطقة.
- توج استكمال السيطرة الفرنسية على مجال أيت حديدو بتغطيته بأجهزة المراقبة والإدارة التي عهد لها أمر ترسيخ الوجود الاحتلالي وتهيئ ظروف الاستقرار والشروع في استغلال الموارد الطبيعية والبشرية، التي كان يشرف ضباط الشؤون الأهلية على مراحلها، دوائر ومكاتب وملحقات المنطقة وفق خطة تنفيذ الأوامر الصادرة عن القيادة الجهوية المسؤولة. وشرعت في تجهيز المنطقة، بإرساء وتشييد مجموعة من البنيات التحتية وربطها بشبكة الطرق وبناء القناطر بهدف التحكم في ثرواتها وخيراتها، والتي ساعدت على التنظيم الترابي لمنطقة أيت حديدو، ومع ذلك فإن الإنجازات الفرنسية ظلت محدودة.
- تحكمت عوامل في السياسة التعليمية الفرنسية بمنطقة أيت حديدو، ومن بينها كون المجال المدروس يوجد في موقع هامشي وليس له أي تأثير على المناطق المغربية كما كان الشأن في مناطق أخرى، ومما يوضح بالملموس أن إدارة الحماية لم يكن همها هو تعلم وتمدرس أبناء هذه المنطقة، وإنما كان هدفها هو خلق فئة هجينة لحماية مشاريعها الاستعمارية، أما السياسة الصحية الفرنسية بمجال أيت حديدو، فقد كان الهدف منها هو إشاعة الطب الكولونيالي، والسعي لتشجيع السكان على ولوج المصالح الصحية المستحدثة، على قلتها وتنظيم حملات التلقيح لاستئصال الأمراض الفتاكة والمعدية، والذي خفف من الوضع الصحي الموبوء للمنطقة. بيد أن هذه المجهودات لم ترق لتطلعات السكان، ولذلك لم يتوقف الإنسان الحديدوي على استخدام التداوي الشعبي الممزوج بالفكر الخرافي، حيث ظل الإصرار على العلاجات التقليدية قائما، مثلما كان البحث عن خبراء التداوي التقليدي والتنقل دون ملل في المجالات القبلية المجاورة نشيطا لتحقيق النزوات النفسية.
- شهد المجتمع الحديدوي تحولات في فترة الحماية الفرنسية، فقد عرف موجات من الهجرة نحو المراكز الحضرية الناشئة خلال الفترة بفعل مجموعة العوامل الطبيعية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية. وانفتح السكان على المواد والمنتجات الفرنسية، حيث تدرج السكان على استبدال الأدوات المحلية، وشاع استخدام الأدوات الصناعية المستوردة في مختلف المجالات المرتبطة بالحياة اليومية للأهالي، وازدادت الرغبة في استهلاك هذه المنتجات من اللحوم والزيوت والشاي والقهوة وارتداء الأثواب، بالإضافة إلى انتشار تعاطي التدخين وسط فئات عريضة من المجتمع الحديدوي، وخاصةً الشباب منه.
- قامت إدارة الحماية الفرنسية بالتدخل في تدبير النشاط الرعوي والزراعي، من خلال تنظيم عملية الانتجاع والتحكم في نشاط الترحال في إطار إثبات وجودها بالمنطقة، وتوظيف المراعي الحديدوية لخدمة معمريها. وقامت سلطات الحماية الفرنسية بإدخال منتجات بتجريب منتجات جديدة على الثقافة الزراعية في المنطقة كالبطاطس والتفاح وتشجيع الأهالي على الانخراط في هذه الأوراش الفلاحية، وتوزيع آلاف الشتائل من الأشجار على الفلاحين. إلى جانب عملية تنظيم مياه السقي وتقنيات الري، حيث كان قبل عهد الحماية يقوم على تقنية إعداد القنوات والسواقي المستعملة في الفلاحة التقليدية لتحويل منافذ الأنهار الموجودة في المنطقة بواسطة "أكوك"، وكان يتم تقسيم المياه على الفلاحين بنوع من المناصفة حسب الأفخاذ، ومع دخول المستعمر الفرنسي أصبح تقسيم المياه وفق مجموعة من المساطر والقواعد، حيث خضعت مياه منطقة أيت حديدو لعمليات التحكم والمراقبة الدقيقة من طرف سلطات الحماية

الفرنسية تحت ذرائع ومبررات منها الاهتمام بأوضاع الفلاحين وتوفير الوقاية لهم من الأمراض والأوبئة، والتوزيع العادل للثروات المائية لتجنب الصراعات بين الأهالي، وما ذلك سوى خطة محكمة لخدمة أجندة المعمرين.

- استغلت سلطات الحماية الفرنسية مجال الدراسة بفرض ضرائب على الأهالي، ومثلت ضريبة الترتيب أهم ضريبة، تضاعفت قيمتها خلال سنوات الحماية، وتم فرضها على مختلف الأنشطة الفلاحية من مزروعات وأشجار ومواشي، وأرغم السكان على أدائها حتى في سنوات الجفاف، بل أصبحت في بعض الفترات تفرض على الأنفس، وبالتالي تم إثقال كاهل السكان المحليين. فإذا كان ينظر إلى شركات الاحتياط الأهلية على أنها جاءت لخدمة مصالح الفلاحين بمنطقة أيت حديدو، فالعكس هو الصحيح الصائب تمامًا، فرفعها من قيمة القروض التي كانت تمنح لهذه الفئة، كانت أهدافها المحورية تروم إلى تأزيم وضعيتهم بالأساس، وتحويلهم إلى أتباع متحكم فيهم. هذا فضلا عن السياسة العقارية التي كان الهدف منها الاستحواذ على الأرض التي تمثل رأسمال المجتمع الحديدوي، لهذا أدركت الإدارة الفرنسية بالمنطقة عمق الترابط بين الإنسان الحديدوي وأرضه، فحاولت العمل على خلخلة الموازين القائمة بينهما.
- كان من تداعيات الحرب العالمية الثانية على منطقة أيت حديدو، أن نهجت سلطات الحماية الفرنسية سياسة تجنيد الأهالي، وقادت حملات لجمع التبرعات لصالح المجهود الحربي، وصادرت المنتوج الفلاحي المحلي، الشيء الذي ساهم بشكل كبير في ظهور مجاعة مرعبة عرفت في الأوساط المحلية باسم "عام البون".
- انخرط أيت حديدو في مشروع النضال السياسي من أجل الحرية واستعادة الاستقلال، إذ برزت منهم شخصيات قيادية كانت هي صلة الوصل بينها وباقي الجهات المغربية، بفعل انخراطهم في خلايا الأحزاب السياسية المعروفة حينذاك، كما شاركوا بقوة في توعية الناس وتوجيهه في إطار منظمات فدائية كلفت الفرنسيين الكثير على المستوى السياسي والعسكري. وما يبرز أهمية هذه المنطقة كذلك هو تحولها لمركز تجمع قيادي جيش التحرير من مختلف المناطق بهدف عقد الاجتماعات واللقاءات لمناقشات أوضاع البلاد، واتخاذ القرارات الملائمة لمسايرة آخر المستجدات. كما أن وجود مراكز الاعتقال، كمركز أغبالو نكردوس، ومركز وإملشيل، التي سجنت السلطات الفرنسية فيها عددا من الوطنيين، مما منح منطقة أيت حديدو الشهرة والتأثير على العمل السياسي. وشكل أيت حديدو ورقة قوة بالنسبة لجيش التحرير نظرا لموقعهم الجغرافي القريب من الأطلس المتوسط والمنفتح على تافيلالت ونواحيها، وعليه نقول إن هذه البلاد مثلت في حقيقة الأمر محورا ومنطلقا لجيش التحرير والحركة الوطنية، إذ يمكن اعتبارها قاعدة خلفية لهيكلة وتنظيم الصفوف بالنسبة للوطنيين.

موضوعات بحوث أخرى

وهناك مجموعة من القضايا التاريخية الخارجة عن تصميم الدراسة لم نتطرق إليها، وتبقى معلقة وتطرح امتدادات لعملنا في المستقبل. ويمكن أن تشكل موضوعات بحوث أخرى تسعى لمقاربات الإشكاليات التالية:

- منطقة أيت حديدو مجال لنفي رموز الحركة الوطنية المغربية.
- منطقة أيت حديدو وعلاقتها بأحداث تافيلالت 1957م وامتداداتها.
- منطقة أيت حديدو من خلال أرشيف الصور والأفلام والفيديوهات السينمائية الكولونيالية.

٦- الخلاصات والتوصيات

قاد البحث في موضوع " **قبيلة أيت حديدو في فترة الحماية الفرنسية١٩٢٩–١٩٥٦م**"، إلى الخروج بمجموعة من الخلاصات والتوصيات الآتية:

٦/١- الخلاصات النظرية

- ساهمت القوانين والتدابير التي اتخذتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في تراجع التنظيمات القبلية القديمة (اجماعة- أمغار- المحاكم العرفية) وهياكل التسيير لفائدة مؤسسات جديدة ذات طابع رسمي أحدثها المستعمر الفرنسي بالمجال المدروس.
- عدم سعي الحماية الفرنسية إلى تطوير بنيات التسيير المحلي، من خلال توظيفها لرؤساء التنظيمات الاجتماعية الكلاسيكية تحت سلطتها المباشرة لتدبير شؤون المنطقة، بغية التحكم في

الإدارة المحلية، لأنها كانت قناة الاتصال الأساسية بالأهالي.

- من المعلوم أن حظ منطقة أيت حديدو كان قليلا من حيث الاستفادة من المشاريع الاستعمارية كالبنية التحتية، والتأهيل البشري، والمنشآت الاقتصادية، نظرا لطول الفترة الزمنية التي استغرقها احتلال المنطقة، إلا أن ذلك لا يلغي حقيقة الدور الذي قامت الإدارة الفرنسية به في إحداث وإرساء بعض الخدمات والبنيات التحتية، بتطوير القديمة منها وإحداث الجديدة؛ في المجال الزراعي والرعوي، وبناء مكاتب لتمويل القطاع الفلاحي وتطوير بنيات الري.

٢/٦- الخلاصات المنهجية

- يُعَدّ أرشيف فترة الحماية بوابة أساسية لقراءة خصائص هذه الفترة التاريخية؛ لتنوع مظان الوثائق المحفوظة بدور الأرشيف، التي تمكننا من استخلاص تفاصيل معطيات تاريخية مهمة ساهمت في استجلاء وتقصي أهم التحولات التي لحقت الحياة الاجتماعية والاقتصادية خلال فترة الحماية، حيث يسرت هذه الوثائق سبر أغوار التاريخ ودراسة قضايا مختلفة ذات علاقة بالتاريخ الاجتماعي لمنطقة أيت حديدو، والوضعية العقارية وتدبير النشاط الرعوي والزراعي والضريبي، وكذا التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والجانب التعليمي والصحي.
- من الواضح والمؤكد أن دراسة قضايا فترة الحماية بالاعتماد على أرشيفها الخاص، يجعل الباحث أمام إشكال منهجي يتمثل بالأساس في النظر إلى الأحداث التاريخية من زاوية ضيقة ومحدودة المعالم، إلا أن الحاجة الماسة إلى بناء الحدث التاريخي المتمثل في نشوء وتطور الإدارة المغربية والإحاطة بكل جوانبها، وملامسة مختلف زواياها، يعد حاجة ماسة وآنية لضرورتها الاجتماعية في نفس الوقت، بفعل ارتباطها بالتحولات التي عرفها عهد الحماية. وتطرح للنقاش مسألة التدبير المحلي لمغرب الاستقلال. ولهذا فليس هناك تعارض بين الانكباب على هذا الرصيد الوثائقي، وبين العمل على تطوير الكتابة التاريخية التي تخضع هي الأخرى لقوانين التاريخ التي تدفع بقطار التطور والتجديد نحو الأفضل، ويتصدر الاشتغال على مناهج البحث، خاصة أسلوب استثمار الشواهد التاريخية ضمن قائمة الاهتمام الذي يرقى بنا من القراءة البانورامية إلى الأبعاد والدلالات العميقة.
- تكمن أهمية دراسة الواقع التاريخي خلال الحماية من خلال مقاربة تقاطع العلوم عبر دمجها، لتنصب على موضوع بعينه، وكمثال على ذلك موضوع التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بمنطقة أيت حديدو، يمكن أن يلتقي فيه الباحث في التاريخ مع الباحث في علوم الأنثروبولوجيا والمختص في القانون والاقتصاد، والباحث في الجغرافيا لإعداد دراسة رصينة محكمة ستكشف عن الآثار العامة لنظام الحماية الفرنسية من خلال ما عرفته المنطقة من تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية على عهدها، قصد صنع مسار ومستقبل منطقة أيت حديدو.
- مكنت هذه الدراسة المنوغرافية من التأكيد على أن الاختيار المنوغرافي يظل سبيلاً قائمًا لمعرفة المجتمع المغربي في محليته وجهويته وبالتالي في تتبع مظاهر الاستمرارية والتحول التي عرفها خلال الفترة المعاصرة، الشيء الذي يمكن أن يساهم، إلى جانب دراسات منوغرافية أخرى، من الانتقال من الجزئي إلى الكلي أو من المحلي إلى الشمولي وفق رؤيا منهجية تخدم إعادة كتابة تاريخ المغرب بشكل تركيبي.